الأدب الألخميادو

وسلية مقاومة وإبداع

د/ خديجة دوبالي

جامعة ابن خلدون –تيارت-

الملخص:

عاش مسلمو إسبانيا خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجريين الموافق للقرنيين السادس والسابع عشر ميلاديين ارهابا فكريا وتصفية جسدية طبقتهما عليهم السلطات الإسبانية بكل مؤسساتها، هذه الأخيرة عملت جاهدة على طمس شعوره الجماعي وهدم رموزه المقدسة. ولقد أدرك مسلمو إسبانيا ذلك مبكرا، فاندفعوا محاولين الوصول إلى انتاج توازن جديد يعيد لهم دورهم الحضاري المعطل وحقوقهم الشرعية المستلبة؛ فسجلوا ذلك على امتداد مشوارهم النضالي بالسلاح كلما أتاحت لهم الفرصة ذلك، وبالفكر حينما تخفق المقاومة المسلحة.

وتشير البحوث العلمية إلى أن أي شخصية ثقافية تواجه تحديات مصيرية ترد على التحدي عن طريق الإلحاح على مكوناتها الأساسية. هذه الأخيرة جمعت عنصرين "الدين" و"اللغة". وبالفعل فعنصر "الدين" مكن مسلمو إسبانيا من مواجهة الاندماج في الثقافة النصرانية بكل مقوماتها، حتى وإن تأثر بها بعض الشيء ليس بحكم الاقتناع بها، ولكن بحكم مجاورتها مدة

أكثر من ثماني قرون من الزمن، ونظنها ليست بالمدة القصيرة؛ فالدين الإسلامي شكل قوة إسناد فعالة في تلك المواجهة.

كما أن اللغة كانت عاملا قويا في الحفاظ على مقوماتهم الإسلامية، هذا ما تفطنت إليه السلطات الإسبانية، فسارعت إلى منعها، والقضاء على كل وسيلة يمكن عبرها إحياءها، إلا أن مسلمي اسبانيا كانت لهم كلمتهم في ذلك، فلم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام هذا المسخ الثقافي، بل واجهوه، فأبدعوا في ابتكار لغة تحاور وتعامل جديدة، ألا وهي "الألخمیادية" "*Aljamiadia*". لقد كانت هذه اللغة وسيلتهم في ابراز موقفهم الإبداعي في أحلك الظروف وأصعبها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى رمزا من رموز الرفض القطعي والجازم لكل ما هو إسباني على وجه الخصوص، ونصراني عموما.

ارتكز الانتاج الفكري المدون باللغة الألخمیادية على موضوع مصارعة المحتل المغتصب، وهو الموضوع الذي تسري بين بنيانه مكونة الأيديولوجيا التي تؤثّث جميع مفاصله وتهيمن على جميع أرجائه. فسواء إن انطلقنا من العنوان الرئيس أو من العناوين الفرعية، فإنه بالإمكان مصادفة طابع الصراع والمطارحة والاحتجاج. بيد أنه بإمكان أي باحث؛ من خلال وقوفه عند المطابقات والمقابلات وغيرهما في الانتاج الألخميادي، أن يدرك بأنه لم يأت صياغة أو تنميقا، وإنما كان تغذية راجعة لثقافة مرحلة تاريخية بأكملها؛ مورس فيها الصراع على الجماعة المسلمة في اسبانيا، فانعكس ذلك على انتاجهم الفكري.

الكلمات المفتاحية: السلطات الاسبانية؛ مسلمو اسبانيا؛ الشخصية الإسلامية؛ الثقافة النصرانية الكاثوليكية؛ اللغة؛ الدين؛ الصراع الفكري؛ اللغة الألخميادية؛ الانتاج الديني.

Résumé:

La littérature Aljamiado moyen de résistance et de créativité.

Les musulmans d'Espagne ont vécu un terrorisme intellectuel et physique, car Les autorités espagnoles ont demandé à toutes ses institutions, de travailler dur pour démolir leurs symboles sacrés, pour cette cause les musulmans d'Espagne ont résisté par tous les moyens afin de maintenir la viabilité de leurs personnalité musulmane.

Les recherches scientifiques indiquent que n'importe quel visage personnalité culturelle défis tous ceux qui veulent oblitérer leur culture en insistant sur leurs composants de base, celle si Recueillies deux : « religion » et « langue ». En effet, l'élément de « religion » a donné possibilité aux Musulmans de l'Espagne faire face à l'intégration dans la culture chrétienne tous les mérites même affectés non seulement par conviction mais par contiguïté pendant plus de huit siècles.

la Langue a était un facteur puissant pour préserver les constituants islamiques, pour cette cause les autorités espagnoles s'empressa de prévenir et d'éliminer chaque relance possible de l'outil, mais les musulmans d'Espagne avaient leur mot à ce sujet, car ils ne sont pas restés inactif devant ce mutant culturel, mais contrairement, ils excellent dans la création d'une nouvelle langue Aljamiado.

Cette langue a été leur attitude créative de point culminant dans les circonstances les plus sombres et difficiles, qui d'une part et, d'autre part, un symbole de rejet de tous se qui étaient espagnol en particulier et chrétien en général.

La production intellectuelle écrit grâce à la langue aljamiado s'est basé sur le thème des combats occupés le violeur Qui s'applique entre une idéologie structurée que le cœur de toutes ses facettes et dominent l'ensemble. Si que, commençons par le titre de président ou de sous-titres, il pourrait être une coïncidence et avances sur le conflit et de protestation. Toutefois, tout chercheur, par l'intermédiaire de commandes conscient que la langue Aljamiado n'était pas rédigé ou poli, mais pour nourrir la culture de l'ensemble Moresque.

Mot clés : Les autorités espagnoles_ les musulmans d'Espagne_ personnalité musulmane_ culture chrétienne_ langue_ religion_ _combat intellectuelle_ langue aljamiado_ production religieuse.

تمهيد:

إن الأمة التي تفقد لغتها تضيع هويتها وخصوصيتها، وتخسر ذاتها ومستقبلها، لذلك نجد دعوات فقهاء وعلماء الأمة الإسلامية صريحة وصارمة للتمسك باللغة العربية، والدفاع عن تراثها الثقافي والعلمي، ونبهوا إلى ضرورة تعزيز مواقعها في الحياة، ودعوا إلى تعليمها للأجيال، وإحياء تراثها الغني وكنوزها الأدبية والثقافية والتاريخية، ونذكر في هذا المجال، جهود ومساعي الأمة الأندلسية الشهيدة في ذلك.

وإذا أردنا معالجة فضيلة اللغة العربية كأداة من مقومات الشخصية العربية الإسلامية بالنسبة للأقلية المسلمة في اسبانيا بعد سقوط غرناطة[1] سنة 897هـ/ 1492م[2] على يد الملكين إيزابيلا[3] وفرديناند[4]، فإنها تجعلنا نقر بأنها كانت واسطة صراع فاصل بين الطائفتين المتنازعتين[5] وهذا بالرغم من تقلصها وانحسارها وغربتها التي لم يبق منها سوى شبح مبهم، إلا أن هذا المتبقي من وهج اللغة العربية ظل مطاردا من طرف عمال محاكم التحقيق[6] الأوصياء على تنفيذ مشروع القضاء على كل ما كان له صلة بالدين الإسلامي[7].

فقد أدرك أعداء الإسلام أن حربهم ضده يجب أن تعتمد على محاربة اللغة العربية، وإحياء اللغات القومية، سعيا إلى تقليص وجود القرآن، وتهميش عقيدته؛ ويبدو من خلال التحدي الكبير الذي واجهته اللغة العربية في اسبانيا النصرانية، أن الحرب لم تكن عسكرية فقط، بل كانت شاملة، ولإضفاء الشرعية على الجرائم التي كانت ترتكبها السلطات الاسبانية ضد اللغة

العربية تسترت تحت مجموعة من القوانين، قامت بسنها قصد تجريد المسلمين من لسانهم العربي[8]، وبالتالي مسخهم لمقومات شخصيتهم الإسلامية. ولم يكن قانون تحريم استعمال اللغة العربية كتابة وتخاطبا سوى مقدمة لما هو أقسى وأشد إيلاما، تمثل في حرق كل ما هو مكتوب باللغة العربية[9]، ذلك أن بقاء اللغة العربية من أشد العوامل لمنع تغلغل النصرانية في نفوس مسلمي إسبانيا وأنه لابد من القضاء على ذلك الحاجز الصخري الذي ما لبث أن تحطمت أمامه جهود الكنيسة[10] الكاثوليكية[11]؛ فإلى أي مدى صمدت اللغة العربية أمام تعنت وإصرار السلطات الكنسية والسياسية لاستئصالها؟ وما هي الجهود التي بذلها مسلمو اسبانيا[12] أو ما اصطلح عليه في مختلف الدراسات التاريخية سواء العربية أو الغربية بـ "الموريسكيين"[13] لإيجاد حلول بديلة تمكنهم من الدفاع على مقومات شخصيتهم الإسلامية في ظل تعنت السلطات الاسبانية؟

فقد عانى مسلمو اسبانيا من اضطهاد مزدوج - السلطات السياسية والدينية معا - حيث ضيقتا عليهم الخناق، وقطعتا عليهم الطريق والأمل، وافتكتا منهم كل عناصر مقومات شخصيتهم الإسلامية، فكانت نتيجة ذلك أن حاول هؤلاء المضطهدين مقاومة ذلك الإرهاب الفكري الذي سلط عليهم بشتى الطرق والأساليب، سواء بالسلاح[14] أو باستعمال التقية[15]. فقد استعملت السلطات الاسبانية كل الوسائل والأساليب بغية تنصير مسلمي اسبانيا ومسخ مقومات هويتهم الإسلامية، ولكن كان الرفض القاطع والجازم هو ردهم، هؤلاء صمدوا وقاوموا كل وجوه الاضطهاد والتنكيل، مفضلين البقاء على عقيدتهم.

فكثيرا ما تكلم المؤرخون عن الانحطاط الثقافي الذي آل إليه مسلمو اسبانيا عند مقارنتهم بأجدادهم الأندلسيين، ولكن لا بد التنويه إلى ذلك الاضطهاد الثقافي والاحتضار الحضاري الذي كان يمارس عليهم حتى يتسنى إصدار حكم يأخذ بعين الاعتبار عمق البعد الثقافي لهؤلاء المسلمين.

إن احتفاظ مسلمي اسبانيا بذلك القدر اليسير من الثقافة وتطويره بالوسائل القليلة التي بقيت بين أيديهم يجعلهم جديرين بالاعتزاز والافتخار ربما أكثر من أجدادهم الأندلسيين ومن معاصريهم النصارى الذين توفرت لهم كل الوسائل المهيأة والجو الملائم للقيام بنهضتهم الثقافية. فالثقافة الإسلامية التي كانت ملزمة بالنظر إلى داخل بيتها لإرضاء حاجيات أبنائها، كانت مجبرة في الوقت نفسه بالنظر إلى الخارج لتواجه خطرا مزدوجا تمثل من جهة في تهجمات الثقافة التي تتربص لها الفرص للقضاء عليها ونقصد بها الثقافة الإسبانية الكاثوليكية، ومن جهة أخرى في الموقف غير المكترث لفريق من مسلمي اسبانيا بسبب انهزام هممهم وبرودة عاطفتهم الدينية، الشيء الذي كان سيؤدي في أغلب الأحيان إلى مغادرة صفوف الإسلام، وبالتالي انتصار العقيدة الفاسدة.

أمام كل هذه المستجدات التي ألمت بالأقلية المسلمة باسبانيا كان عليها أن تبحث عن حلول بديلة تمكنت من الصمود في وجه محاولات السلطات الاسبانية المتتالية لمسخ هويتها الإسلامية، وبالفعل فقد تمكنت من إبداع لغة دونت بواسطتها تراثها الديني والفكري، وبالتالي حافظت للأجيال اللاحقة على مقومات

شخصيتهم الإسلامية، عرفت هذه اللغة في الدراسات التاريخية بـ "الألخميادو" أو "الألخميادية" "Aljamiadia".

فقد ترجمت مجموعة المؤلفات التي حررها مسلمو اسبانيا بواسطة هذه اللغة حجم المعاناة التي كانت ثمنا لانتمائهم الإسلامي، وتشبثهم المستميت بثقافتهم وحضارتهم. إذن ما مدلول اللغوي لهذه اللغة؟ ومتى ظهرت؟ وما هي خصائصها ومميزاتها؟ وماذا حققت؟ كل هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عليها من خلال ما سوف يتم عرضه من معطيات تاريخية.

1)_اللغة الألخميادية مدلولها اللغوي والتاريخي:

اضطر مسلمو اسبانيا إلى ابتكار هذه اللغة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم والمحافظة على البقية الباقية من تراثهم الديني المكبوت في صدورهم، إذ وجدوا في اللغة الألخميادية المشتقة من القشتالية - المفروضة عليهم - والعربية - المكرهين على تركها - سبيلا للتعبير عن كل ذلك، حيث اختلطت فيها ألفاظ عربية وأعجمية مختلفة من اللهجات القديمة والمعاصرة لهم لاسيما الرومانية أو اللغة اللاتينية"Latin"[16].

إن أغلب المخطوطات الأعجمية التي كتبها مسلمو اسبانيا دارت مواضيعها بشكل أو بآخر حول الدين : قرآن، حديث، تصوف ... إلخ. وهذا الأمر يدعونا إلى التساؤل حول مدى علاقة بروز هذا الأدب بالاستجابة لحاجة مسلمي اسبانيا في إيجاد أداة تواصل ديني مختلفة عن اللغة الرومنسية"Romance" [17] المرتبطة ارتباطا عضويا في هذه الفترة بالنصرانية في إسبانيا.

أ)- المدلول اللغوي للأدب الألخميادو:

أدى ذلك القهر إلى تحول اللغة القشتالية في غالب الأحيان (الاسبانية القديمة) أو الأرغونية أوالقطلانية أو البرتغالية أحيانا، إلى لغة تخاطب بين مسلمي إسبانيا، فقد اعتقدت السلطات في اسبانيا أن بمنعها استعمال اللغة العربية وحرق كل التراث الحضاري والإسلامي[18] سوف يمكنها من القضاء على كل مقومات الدين الإسلامي، وعلى رأسها اللغة العربية؛ لكن ما حدث جاء عكس ما كانت ترجوه السلطات الاسبانية، فقد ولدت لغة إسلامية جديدة، كتبت بالحرف العربي، وسماها أصحابها اللغة الأعجمية وعرفت في كل المصادر والمراجع العربية منها والأجنبية بـ "الألخميادو".

فكل من بقي من المسلمين في مسقط رأسه الأندلس[19] سابقا متدثرا بغطاء التنصر كان عليه أن يتحايل على جلاديه ليواصل البقاء، وهذا التحايل أنتج فنونا عديدة في ممارسة الحياة تحت رعب الخوف من اكتشاف الحقيقة، فنشأت لغة كاملة يكتب بها هؤلاء المضطهدين ما لا يريدون اكتشافه خوفا من ضياعه لو احتفظوا به فقط في ضمائرهم، فكانت اللغة «الأعجمية» أو «الألخيمادو» هي سبيلهم الوحيد للحفاظ على إرثهم الإسلامي، وبواسطتها تم كتابة كتب وموسوعات لها قيمة أدبية كبيرة إضافة إلى قيمتها التاريخية. وقبل التطرق لشرح هذا المصطلح يجب التنويه إلى أنه لم يرد في المخطوطات التي ألفها مسلمو اسبانيا مصطلح "الألخميادو"، أو "الألخميادية"، وإنما تم تداول مصطلح "الأعجمية"، مثالا على ذلك نذكر ما ورد نصه في المخطوط الذي كتبه إبراهيم بن أحمد غانم الأندلسي[20]: **"كتب**

بالأعجمية وترجمه له بالعربية ترجمان سلاطين مراكش أحمد بن قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم ابن الشيخ الحجري الأندلسي"[21].

من هنا نستنتج أن استعمال مصطلح "الألخميادو" أو "الألخميادية" في مجموع البحوث المختصة في هذا المجال جاء في فترة متأخرة[22]، ذلك أنه أول من اعتنى بإخراج هذا الإنتاج الفكري إلى النور هم الباحثون الغربيون[23]، ثم فيما بعد بدأت تظهر محاولات محتشمة لبعض الباحثين العرب والمسلمين كان على رأس هذه القائمة الباحث عبد الجليل التميمي[24].

وقد ورد مصطلح "الأعجمية" في بعض الآيات من القرآن الكريم نذكر على سبيل المثال قوله سبحانه عز وجل في محكم تنزيله: **{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ}**[25].

أما فيما يخص تفسيرها من المصادر المختصة فقد ذكرت بهذا الصدد: **"قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر، عبد لبعض بني الحضرمي"**، فأنزل الله تعالى هذه الآية مؤكدا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتلق القرآن على يد هذا الغلام الذي كان لسان حاله الأعجمية ونحن نعلم أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية لا غير[26]. كما ورد ذكرها في موضع آخر من القرآن الكريم فجاء قوله عز وجل بهذا الصدد[27]:**{مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ(43) وَلَوْ**

جَعَلْنَهُ قُرْءَاناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْ لاَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَاْعَجِمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدىً وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَان بَعِيد} ".

هذه الآيات من الذكر الحكيم تتحدث عن الحجج التي اعتمدها الكفار في رفضهم لعقيدة التوحيد، وترد على واحدة منها، في قولهم: لماذا لم ينزل القرآن بلسان الأعاجم حتى نهتم به أكثر ويستفيد منه غير العرب؟ ولعلهم كانوا يستهدفون منها عدم فهم الناس القرآن حتى لا يضطروا إلى منعهم عنه، كما أكد ذلك القرآن الكريم واصفا سلوكهم في قوله تعالى: **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}**[28]. وهنا يجيب القرآن على هذا القول بقوله تعالى:**{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ }.**[29]

كما تعجبوا وتساءلوا كيف لقرآن أعجمي ينزل على رسول عربي؟ وذلك في قولـه تعالى سبحانه عز وجل:**{ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ}.**[30] أو عكسوا الظاهرة وتساءلوا قائلين: كيف لكتاب أعجمي ينزل على أمة ناطقة باللغة العربية ؟

تحدثت الآيات الكريمة عن ذلك المرض الكامن في نفوس الكفار وعجزهم عن مواكبة الهدى والنور الذي أنزل على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءهم بلسانهم العربي قالوا: هو سحر وأسطورة، وإذا جاءهم بلسان أعجمي فإنهم

سيعتبرونه غير مفهوم، وإذا جاءهم مزيج من الألفاظ العربية والأعجمية عندها سيقولون بأنه غير موزون.

وينبغي الانتباه هنا إلى أن كلمة (أعجمي) من «عجمة» وتعني عدم الفصاحة والإبهام في الكلام، وتطلق «عجم» على غير العرب لأن العرب لا يفهمون كلامهم بوضوح، وتطلق «أعجم» على من لا يجيد الحديث والكلام سواء كان عربيا أو غير عربي. الأعجمية إذن هي مؤنث أعجمي وعليه فإن كلمتي أعجمية وعربية كلمتان عربيتان مختلفتان ومتعارضتان، من وجهة نظر المسلمين الذين يحدقون العربية فإنهم يتحدثون العربية وغيرهم يتحدث الأعجمية، أما من وجهة نظر النصارى الإسبان فإن المسلمين يتحدثون العربية غير المفهومة ويكتبون بلغة أعجمية مختلفة عن اللغة الرومانسية. على ضوء هذا الإيضاح يمكن أن نفهم لماذا كانت الأعجمية شيئا ايجابيا عند مسلمي اسبانيا الذين تركوا هذا التراث للتعريف بهم.

فاللغة الألخميادية هي لغة اسبانية أو برتغالية أو قشتالية أو أرغونية أو كاطلونية[31] كتبت بحروف عربية، وتاريخيا هي الوعاء اللغوي الذي احتوى آخر ما ابتكره مسلمو اسبانيا من آداب. وبهذا اعتمدت هذه اللغة الجديدة على الخط العربي بالاعتماد على اللغة الألخميادية الرومانسية أي العامية اللاتينية والسبب في هذا النوع من الابتكار أن مثل هذه اللغة يسهل تداولها بين مختلف الجماعات المسلمة المنتشرة بكل من أراغون[32] وقطالونيا وغيرها من المناطق التي انتشرت بها العامية اللاتينية.

إدن نحن هنا أمام أدب هجين امتزجت فيه العربية والإسبانية في شتى المستويات بشكل لا نظن أنه عرف قبل هذا بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وبالتالي تمخض عن هذا المزيج نتاج معبر أيما تعبير وممثل أيما تمثيل لكيان أصحابه ولهويتهم الثقافية. فمع هذا الأدب نجد أنفسنا أمام كتابات إسبانية اللغة وعربية الخط تتخللها مصطلحات عربية إسلامية وتراكيب إسبانية معربة، والكل محفوف بغطاء صوتي يصعب نعته بالعربي أو بالإسباني.

وبهذا اقتضت حاجة المتأخرين من مسلمي اسبانيا إلى التمسك بأهداب اللغة العربية عن طريق ابتكارهم لهذه اللغة الجديدة، التي كان قوامها الصوتي رومانسي وحروفها عربية متأثرة شأنها شأن كل عامية بالمصطلحات الإقليمية؛ فإن ما اصطلح على تسميته بـ "الأدب الأعجمي الموركسي" هو عبارة عن مجموعة مخطوطات عثر عليها صدفة في أكثر من مناسبة بعد إخفائها قديما في تجاويف جدران المنازل وبين السقوف وفي المغارات وكذا في مخابئ أخرى.

ب)- رؤية تاريخية حول ظهور هذه اللغة وتطورها:

أصبحت هذه اللغة الجديدة، وسيلة دفاع مشروعة للحفاظ على مقومات الشخصية الإسلامية، فأصبحت بذلك لغة تأليف عند مسلمي إسبانيا ويوجد حاليا الكثير من هذا الإنتاج الفكري في مختلف مكتبات إسبانيا على وجه الخصوص، وبعض المكتبات العربية والأوربية عموما؛ هذه المؤلفات تؤكد على بقاء الإسلام

بعد سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م وإلى غاية قرار الطرد النهائي عام 1018هـ/ 1609م[33].

فعلى الرغم من الأسلوب الذي اتبعته السلطات الاسبانية لدمج مسلمي اسبانيا وتلقينهم تعاليم النصرانية الكاثوليكية، وعلى الرغم من أنها لم تبخل بالوسائل ولا بأي إجراء معتدل كان أو ظالم، لتنفيذ سياستها الإدماجية، مع هذا وذاك فإنهم بقوا صامدين ضد مبدأ اعتناق النصرانية الكاثوليكية وتعاليمها[34]؛ ففي الوقت الذي تظاهروا فيه في أعين العموم بأنهم نصارى، كانوا في الباطن يعيشون في جو إسلامي بحت.

إن هذه الصيغة المهمشة كانت مقصودة، فهؤلاء قاموا بكل ما هو ممكن للارتباط بثقافة أجدادهم، وإبلاغها إلى ذريتهم، خوفا على ضياعها ولهذا السبب تبنوا عدة خطط، من بينها الأدب الألخميادو؛ وهذا ما أكدته شهادة أحدهم فكتب يقول حول الموضوع:[35] **"...لا أحد من إخوتنا أو أخواتنا في الدين يعرف العربية التي أنزل بها القرآن الكريم، أو يفهم حقائق الدين، إلا إذا عبرنا لهم عن هذه الأشياء بصورة ملائمة بلسان أجنبي الذي هو اللسان الذي يتكلم به هؤلاء الكلاب المسيحيون الطغاة الذين يضطهدوننا، ليلعنهم الله..."**

لهذا كانت اللغة الأعجمية تلك المرآة التي عكست الضمير المعارض؛ كما يمكننا اعتبارها وسيلة دفاع حتمية ضد سياسة الإدماج. فالنصوص الأدبية المحررة باللغة القشتالية والمكتوبة بالأحرف العربية هي في الحقيقة تعبر بقوة عن هذا الصوت

الديني الذي ترجم مدى الإقصاء لهاته الأقلية التي كانت وراء إشعاع الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس.

كما شكلت حركة الإنتاج باللغة الأعجمية رد فعل طبيعي قابل حركة التأليف التي شجعتها السلطات الاسبانية للتبشير بالنصرانية الكاثوليكية ودحض القرآن الكريم وتعاليمه[36]، لهذا السبب الجوهري بالإضافة إلى كل ما ذكر أعلاه قررت نخبة من مسلمي اسبانيا عدم البقاء مكتوفة الأيدي أمام هذا الصراع الفكري الذي كان الهدف منه مسخ كل مقومات العقيدة الإسلامية.

وقبل الخوض في تاريخ ظهور هذه اللغة الجديدة لنا أن نتسآل: هل يمكن اعتبار مسلمو اسبانيا هم الأوائل الذين ابتدعوا لغة غريبة تكتب بحروف عربية، أم سبقتهم إلى ذلك أمم أخرى؟ كما سنحاول في السياق ذاته ابراز نقطة مهمة هو التاريخ الحقيقي لبداية ظهور هذه اللغة بين مسلمي اسبانيا.

تعرض يهود[37] اسبانيا إلى القهر والتنكيل نفسه الذي تعرض له مسلمو إسبانيا فقد حاربت السلطات الدينية والسياسية كل مقومات الشخصية اليهودية[38]، من بينها العبرية، لهذا لجأ يهود اسبانيا إلى الطريقة نفسها مع كتبهم العبرية[39]. ولكن يجب التنبيه إلى أنه هناك فرق كبير بين ما أبدعه مسلمو اسبانيا ويهودها، فهم لم يقلدهم في ذلك وإنما ابتكروا لغة ميزتهم عن غيرهم.

كما نجد هذا الازدواج اللغوي في بعض المناطق الإسلامية، غير الناطقة بالعربية[40]، على اعتبار أن اللغة العربية

هي حاملة للعقيدة الإسلامية ومواصلة للقرآن الكريم، وهناك أمثلة عديدة على استخدام حروف اللغة العربية من طرف الأقليات الإسلامية في مناطق متعددة بل وذهب بعض الباحثين إلى القول بأن مسلمي اسبانيا اتخذوا المثال التركي[41] على وجه خاص. ويبدو أن أنصار هذه المدرسة، اختلطت لديهم أمور عدة منها: أن مسلمي اسبانيا لم يتخذوا مثالا مسبقا وما تم في اللغة التركية أو الفارسية من استخدام للحروف العربية، ما هو سوى تعريب لهذه اللغات على نحو يتفق ونموذج يتمثل في اللغة العربية الفصحى – لغة القرآن- ودرجة هذا التعريب تختلف باختلاف طبيعة العصر، وطبيعة المادة اللغوية المعربة، التي تـزداد بداهة بازدياد المحتوى الديني للنص.

على حين أن الأدب الأعجمي أدب سري تتمثل فيه روح المقاومة ورفض كل ما تعلق بالشكل الكاثوليكي وقد رأينا مسبقا حالة الازدواج اللغوي بين سكان إسبانيا، ومن دراساتنا للمخطوطات الأعجمية نجد فيها أن الكاتب يحاول أن يستخدم لغة عربية فصحى ولكن قدرته اللغوية لا تسعفه، فيلجأ إلى العامية العربية والرومانسية، وبالتالي فالنموذج التركي، لا ينطبق مع النموذج الذي ابتكره مسلمو اسبانيا لعدة معطيات أهمها الظروف السياسية والدينية والاجتماعية التي كانت تعيشها الجماعة المسلمة في اسبانيا. فالطبيعة اللغوية لهذه المخطوطات يجب بحثها وفقا لمعطيات التاريخ والجغرافيا الإسلامية في اسبانيا وهو ما اصطلح عليه "الطابع الإقليمي اللغوي".

أما عن تاريخ ظهورها، فقد انتشرت اللغة الأعجمية بين مسلمي مملكتي أراغون وقشتالة[42] في القرن الرابع عشر

ميلادي ، واندثرت في القرن الثامن عشر ميلادي، فكان عمرها بذلك يساوي حوالي 400 سنة تقريبا. وقد ظل هذا الأدب مجهولا خافيا لأن أصحابه طمروه بطرق تجعله خافيا عن الأعين[43]، ورغم اكتشافه سنة 1184هـ/ 1884م إلا أنه ظل أدبا مغلقا على المطلعين عليه لأنهم لم يفهموا طريقة الكتابة التي رسمت به تلك المخطوطات.

وظلت كذلك تحت الفحص حتى منتصف القرن العشرين، أين تأسست فيه دراسات مختصة بأدب تلك الحقبة وتمت استعادة كتابتها باللغة الإسبانية المعاصرة لتترجم بعد ذلك إلى لغات أوروبية أخرى؛ ورغم اكتشاف هذا الكنز الكبير من آداب مسلمي اسبانيا إلا أن العرب والمسلمين ظلوا بعيدين عن حقل دراساتها ولا حتى مجرد الالتفات إليها رغم أن اكتشاف تلك المخطوطات كان يمكن استغلاله لإحياء قضية مسلمي اسبانيا المبعدين عنوة وتذكير العالم بقضيتهم العادلة.

لكن الملفت للانتباه أن معظم الباحثين إن لم نقل جلهم ربطو ظهور نصوص الكتابات الألخميادية بفترة القرن السادس عشر ميلادي ولنا أن نتساءل عن مميزات هذا القرن في اسبانيا النصرانية؟ والجواب هو وجود مجموعتين مختلفتين على المستويين الديني والاجتماعي، مسلمو اسبانيا الذين شكلوا مجموعة مهمشة لأسباب تاريخية وحضارية. وأخرى متسلطة ومنتصرة شكلت القوة الضاربة في اسبانيا ضد كل ما هو غير نصراني كاثوليكي.

فلم يكتشف هذا الإنتاج الفكري إلا بعد وقت طويل من عملية إجلاء المسلمين عن إسبانيا التي جرت عام 1018هـ/1609؛ إذ شهد عام 1128هـ/1728م ظهور العديد من المخطوطات التي كانت مخبأة داخل عمود في بيت من بيوت ريكلا (Ricla)؛ كما اكتشفت سنة 1184هـ/1884م مجموعة من المخطوطات الألخميادية كانت مخبأة داخل أرضية مزيفة في بيت مهدم في ألموناسيد دي لاسييرا (De La Sierra Almonacid) [44] في سرقسطة[45]. كما تم اكتشاف مكتبة كاملة من هذه المخطوطات بمحض الصدفة على أثر قيام بعض العمال بإزالة جدار أحد بيوت «مونثون» بإقليم أراغون، إذ عثروا على جدار مزيف حفظت فيه الكثير من الكتب والمخطوطات التي لم يفهموها أو يعرفوا ما تحويه نظرا للغة الغريبة التي كتبت بها، ولكن قس القرية أخذ بعضها فيما أحرق العمال بعضها الآخر على اعتبار أنها لا تشكل قيمة مادية أو حتى ثقافية.[46]

نستنتج مما ذكر أعلاه حرص مسلمي اسبانيا على أن لا يفتضح أمرهم بدليل عدم دراية السلطات الإسبانية بأمر هذه المؤلفات إلا بعد سنة 1128هـ/1728م أي بعد قرابة قرن من عملية الطرد[47].

فبالرغم من الملاحقة الشرسة لمحاكم التحقيق وتنكيلها بالمسلمين إلا أن عمالها لم يستطيعوا أن يكتشفوا أمر هذا الإنتاج الفكري الإسلامي، وكأن الله تعالى أراد أن يصون دينه من الفناء في بلاد أصبح الساسة بها كل همهم تنصير كل من وجد بها ونشر العقيدة الكاثوليكية الفاسدة.

أمام هذه المعطيات التاريخية يمكننا التأكيد على الانتشار الكبير للكتب باللغة الأعجمية بين مسلمي اسبانيا رغم محاربة السلطات الكنيسية والسياسية لها، ومطاردتها لكل من كان يكتبها أو يقرأها أو ينسخها أو حتى يحتفظ بها؛ ويجتمع منها اليوم في المكتبات الاسبانية وغيرها آلاف المجلدات التي كونت وعاءا لتراث إسلامي يتيم، يجهله المسلمون العرب لعدم معرفتهم للغة الأعجمية، كما يهمله الاسبان لعدم معرفتهم للحرف العربي، فأصبح بهذا الشكل في خطر الضياع. هذا التراث جدير بأن يخرج إلى الوجود ويعترف به كتراث إسلامي فريد، وثمرة تجربة أمة مسلمــة تفانت في الحفاظ على عقيدتها الإسلامية ولغتها العربية وكـل ما يتعلـق بها من عبـارات وحروف، عندما أصبح الاحتفاظ باللغة العربية أمرا مستحيلا.

2)_خصائص ومميزات الأدب الألخميادو:

إن ما اصطلح على تسميته بالأدب الألخميادو هو عبارة عن مجموعة من مخطوطات عثر عليها صدفة في أكثر من مناسبة بعد إخفائها قديما في تجاويف جدران المنازل وبين السقوف؛ فمع هذا الأدب نجد أنفسنا أمام كتابات إسبانية اللغة، عربية الخط تتخللها مصطلحات عربية إسلامية وتراكيب إسبانية معربة، والكل محفوف بغطاء صوتي يصعب نعته بالعربي أو بالإسباني.

فهذه اللغة عكست بوفاء كبير شخصية مجموعة إنسانية متميزة داخل اسبانيا. فهذه المجموعة كانت تشعر بخصوصية تجاه النصارى الكاثوليك المتسلطين، وكذا اتجاه أولئك الذين مثلوا

بشكل من الأشكال عنصرا عضويا في وجودهم، جيرانهم في بلاد المغرب على وجه الخصوص، والعالم الإسلامي بوجه أعم. ونظرا للخصائص التي ميزت اللغة الألخميادية، والأهمية التي انطوت عليـها أساليبـها البيانية واللسانية وتفاعل الحرف العربي مع المعنى الأعجمي، كل هذه الخصائص جلبت انتباه اللغويين والمؤرخين على حد سواء، لاستنباط مجموعة هامة من الأنماط الصوتية التي ساهمت في الكشف عن العديد من القضايا الألسنية المعقدة، وتوضيح التباين بين الأصوات في فضاء اللغات المتوسطية.

على ضوء المستجدات التي ظهرت في هذ التخصص _ دراسة لغوية ونسقيـة للغـة الألخميادية_ سوف نحاول تقديم بعض الجوانب من الخصائص اللغوية التي تميزت بها هذه اللغة، وكيف أثرت وتأثرت بكل ما كان يحيط بها سواء داخل اسبانيا أو خارجها.

أ)- المميزات النسقية:

لئن لم يحظ مسلمو اسبانيا وأدبهم ألخيميادي بعناية الدارسين العرب فإن موضوعاته قد حظيت بعناية فائقة من قبل المستشرقين الغربيين، الأمر الذي أوجد لديهم عددا من المختصين في دراسة تاريخ مسلمي اسبانيا وأدبهم، فاكتسب بذلك الأدب ألخيميادي قيمة وثائقية تاريخية ودينية واجتماعية.

فقد قدم للباحثين من علماء الصوتيات الإسبان خدمات جليلة مكنتهم من التعرف على طرق نطق الحروف الاسبانية من

حيث مخارجها وخاصة أن اللغة الاسبانية شهدت تغيرات صوتية هائلة فيما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر ميلاديين، فقد نقلت المخطوطات الألخيميادية طريقة نطق الكثير من الحروف الاسبانية قبل حدوث هذه الصوتية وأثنائها بدقة متناهية، وهو ما لا يدرك فائدته إلا المختصون.

إن أغلب النصوص الألخميادية التي نملكها ترجع إلى فترات الأعجمية المتأخرة "أي فترات نرى فيها مسلمي اسبانيا قد خضعوا إلى قوة النسق الفونولوجي الإسباني، واسبانيتهم قد تخلصت، ليس فقط من لغتهم، بل ونجد أن عربيتهم تظهر منطوقة حسب النسق الفونولوجي الإسباني كما تبين ذلك من خلال: إبطال المعارضة م/ن العربية في آخر الكلمة في النون المشتركة، وصعوبة تحقيق الحاء والعين، أيضا غياب التشديد في الكلمات العربية، وتحقيق الراء العربية البسيطة في أول الكلمة.

فإذا ما استثنينا ما أدخله هؤلاء المؤلفين من تغييرات نحوية أو صرفية، فإن هذه المؤلفات لا تحترم مقاييس النص الصوتية، وذلك بنقحرة[48] الحرف العربي نفسه بشكل مختلف وحذف كل الانجازات الصوتية، اللهجية القديمة.[49]

كما يتبين ذلك من خلال الصيغة العربية التي كيفها مسلمو اسبانيا مع البنية الكلامية الإسبانية، خصوصا عند اشتقاق أفعال من بعض الأسماء أو تكوين بعض المصادر والجموع. وفيما يلي بعض النماذج التي توضح لنا ذلك بصورة أفضل[50]:

الفعل	المصدر	أسماء الفاعل أو المفعول	جموع
اشغا (أصغى)	اسحرار	اسجج	الدعائاش
اسجدا	امحدراش	احرد	العسانس
اسجدر	اسجدميانت	طهردالركعد	الفقياش
اتبحر	احرميانت	حلاقذ	اتسبحنتا
لا العن	حلاقميانت	اتسبحدر	الجناسش
مسحر	الحدسدر	آلاقذش	الكتاباش
احرر		خلاقدش	الملكاش
اركع			الركعش

من خلال هذه المعطيات يمكننا تمييز محور جدولي وآخر نسقي في التصور الدلالي للمعجم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنتظم المأصل داخل حقوق صيدية بشكل معين، مكونة بذلك تفاعلات ترتكز على سمات تمييزية.

أما إمكانية تقليب المأصل في وصلة النص فتحدد غالبا بالإمكانيات المرتبطة بالنظام اللغوي بشكل تختلف فيه مثل هذه الهيكلية في كل لغة؛ وهو اختلاف نجده أكثر عندما يتعلق الأمر بلغات تنتمي إلى أوساط ثقافية مختلفة مما يؤدي إلى أن الترجمة الجيدة للنصوص الألخميادية ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار هيكلة الألفاظ الدلالية كما وردت في اللغة العربية؛ وهي لغة يمكن أن تعد نموذجا للوسط الديني الثقافي الإسلامي.

ب)- الأدب الألخميادو عامل تأثير وتأثر:

إذا كان من سنن الله في خلقه أن تتأثر اللغة سلبا وإيجابا بواقع الأمة فتعز بعزها وتذل بذلها فإن اللغة العربية خضعت لهذه السنة ردحا من الزمن ولكن جذوتها لم تنطفئ، والسر في ذلك ارتباطها بالقرآن الكريم فحفظت بحفظه، ويتأكد ذلك في قوله تعالى في محكم تنزيله: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** (51).

فإذا كان الجانب اللفظي العربي قد برز بسهولة في النصوص الإسبانية، فإن جانبها النحوي والصرفي يحتاج لإظهاره إلى دراسة دقيقة تعتمد مقارنة نصوص إسبانية تنتمي إلى عدة حقب ومستويات، مع أصولها العربية. ولو أن هناك مستويات لا يحتاج إبرازها إلى اللجوء إلى المقارنة. ومن المظاهر التي يمكن أن تكون العربية قد أثرت فيها على الإسبانية مثلا، تتابع الكلمات.

فالعربية اعتادت على الابتداء بالفعل وإتباعه بالفاعل ثم المفعول به، وهذا النظام هو نفسه المتبع في الإسبانية والبرتغالية في أغلب الأحيان خلافا لما يحدث في باقي اللغات الرومنسية. وقد سجلت في هذا المجال إمكانية تأثير سامي. ولكن هذا الجانب يحتاج لتوضيحه إلى دراسة عميقة، والتأثيرات النحوية والبنيوية العربية في الإسبانية، رغم معرفتها لبعض الدراسات، لا زالت تحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل حتى يكشف النقاب عن أكبر عدد ممكن من المكانزمات التي تدخل في هذا التأثير. فموضوع التأثير اللغوي ينحصر أساسا في مسألة الإسهام الأندلسي المعرفي في مجال اللغة. والواقع أن هذا النوع من الإبداعات

الأدبية، ساهم بمستواه اللغوي والأدبي في عقد مقارنات، ومقاربات وموازنات؛ ومن هنا يمكننا رصد البصمة العربية في الحضارة الاسبانية في العصور الوسطى وخلال القرن الذهبي.

كما تجدر الإشارة السريعة إلى انتشار اللغة الرومانسية بين مسلمي الأندلس، فقد كان من الطبيعي نتيجة الاختلاط الكبير بين العرب والإسبان عن طريق التعايش السلمي بين الطرفين[52] والزواج الذي ترتب عنه تزايد عدد المولدين [53]، انتشار ظاهرة ازدواجية اللغة بين الأندلسيين، أي اللغتين العربية والرومانسية وهي إحدى اللهجات العامية المشتقة من اللاتينية التي تكونت منها فيما بعد اللغة القشتالية الحالية وهي اللغة الإسبانية السائدة. وإذا تصفحنا المصادر الأندلسية المتعددة نجد إشارة واضحة قاطعة الدلالة على الازدواج اللغوي لأهل الأندلس، وهي إجادة لاشك تختلف من إقليم لآخر ومن عصر لآخر، وللأسف نفتقد إلى حد الساعة إلى دراسة منهجية لحال اللغة العربية في أقاليم شبه الجزيرة الإيبيرية عبر التاريخ الإسلامي.

سنقدم بداية نبذة عن الصلات اللغوية بين اللغة العربية والاسبانية، فقد أكدت بعض الروايات التاريخية أن هناك الكثير من المفردات العربية دخلت إلى اللغات الإيبيرية بلغت نحو أربع آلاف كلمة، كما وجد عدد كبير من المفردات العربية ما زال يشكل حتى يومنا هذا المصطلحات اللغوية في مجال الري، بدءا بكلمة "Noria" التي انتقلت إلى الفرنسية عبر الاسبانية وهي مأخوذة عن الكلمة العربية "ناعورة"، أيضا "Saquia"، أو "سد" التي يعدلها بالاسبانية "Azuda"[54].

كما توجد نسبة كبيرة من المفردات العربية في ميدان علم النبات، حيث تشهد غالبية أسماء الفواكه وأزهار الحدائق في الاسبانية على مدى ما استعارته من العربية، ومن بين أشهر هذه الأسماء نذكر "برقوق" ما يعدله "Abarioque"، أيضا "أرز" "Arriz"، و"ليمون" "Limon"، و"الزيتونة" "Aceituna"، وغيرها من المفردات الكثيرة[55].

وعليه فطبيعي أن كيانا سياسيا وفضاء حضاريا من حجم التراث الفكري لمسلمي اسبانيا، جدير بإثارة اهتمام المفكرين واللغويين؛ وعليه يجب التأكيد على مدى تغلغل اللغة العربية في مصطلحات القرون الوسطى وحتى الحديثة في المؤسسات الاسبانية، فمفردات التحصين، والحياة الدينية، وكذلك الأنشطة التجارية، كل ذلك ما زال يحمل حتى اليوم ما يسمى الحضور العربي في اسبانيا، كان هدفه الأساسي التصدي إلى كل ما هو اسباني نصراني كاثوليكي؛ كما كانت غايته الأولى محاولة إثبات هويته العربية الإسلامية وذلك باستعماله للحروف العربية كمرجعية لغوية لتأليفه.

ج) الخصائص اللغوية للأدب الألخميادو:

كان فضل اللغة العربية على الإسبانية في تطورها، مزدوجا : فمن جهة نجد الجانب المادي الذي يكمن في الألفاظ والمصطلحات والأنساق البنيوية العربية؛ ومن جهة أخرى، كانت العربية بمثابة الحافز الذي جعل الإسبانية تبحث عن صيغ وأدوات تمكنها من التعبير عن مفاهيم جديدة. فالعربية إذا كانت كتلك المرآة التي أظهرت للإسبانية جوانب نقصها فعملت على

تدراكها. فإذا كان الجانب اللفظي العربي يبرز بسهولة في النصوص الإسبانية، فإن الجانب النحوي والصرفي يحتاج لإظهاره إلى دراسة دقيقة تعتمد مقارنة نصوص إسبانية تنتمي إلى عدة حقب ومستويات، مع أصولها العربية؛ ولو أن هناك مستويات لا يحتاج إبرازها إلى اللجوء إلى المقارنة.

- المميزات اللغوية:

أجمع الباحثون المختصون أن واقع اللغة العربية منحها نوعا من التميز والتفرد، إذ أكسبتها تجربتها الحضارية على مدى قرون ثروة هائلة من البنى. واحتبست تعابيرها في أرحامها قدرات خفية على العطاء وعلى الإيحاء وعلى تنويع التعبير، كما أكسبها انتشارها الواسع في بقاع فسيحة من الأرض وتفاعلها مع جماعات لغوية كثيرة ألوانا من الغنى، تأثرا وتأثيرا، فهي إذن ليست اللغة الأولية البدائية التي تحاول أن تصبو إلى مقاربة الحضارة أو ملاحقتها أو الاندماج فيها، وإنما هي لغة ذات تجربة سابقة وما كان لظاهرة ما اجتماعية أو إنسانية أن تقوى على التخلي عن تجاربها السابقة، فهذه التجارب جزء منها.

فمن أعظم تجاربها أنها خالطت لغات كثيرة فلم تفسد في ألفاظها ولا في اشتقاقاتها، ولا في تراكيبها وأساليبها، أو في بيانها الدقيق المشرق، ولم يتعد تأثيرها بها عددا محدودا من الألفاظ التي تعربت استجابة لمتطلبات تطور أنماط الحياة وتنظيمها وازدهار الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية في ربوع بلاد المسلمين.

وينبغي علينا أن تأخذ بعين الاعتبار هيكلة الألفاظ الدلالية كما وردت في اللغة العربية؛ وهي لغة يمكن أن تعد نموذجا للوسط الديني الثقافي الإسلامي؛ وإذا ما استثنينا ما أدخله هؤلاء المؤلفين من تغييرات نحوية أو صرفية، فإن هذه المؤلفات لا تحترم مقاييس النص الصوتية، وذلك بنقحرة نفس الحرف العربي بشكل مختلف وحذف كل الانجازات الصوتية، اللهجية القديمة[56].

إن استعمال الأزمنة والصيغ الفعلية يختلف بين اللغات، ذلك أن الصيغ التي تعبر عن موقف المتكلم وعلاقته مع الشيء المقصود سواء أكان واقعا أو محتملا، ضروريا أو ممكنا، تتغير من لغة إلى أخرى، وفي السابق الألخميادو وتركيب فعلية تنطبق على استعمال العربي، ومن بين النتائج الدالة على ذلك نذكر الأخطاء الصرفية:

KreemosKontu	**نؤمن بك**
Noshumillamos a tu	**نخضع إليك**
Servimos a tu	**ونعبدك**[57]

ولتصبح الصورة أكثر وضوحا حول الأخطاء الصرفية والإملائية التي أصبحت العامل المشترك بين كل المؤلفات الألخميادية، نعرض هذا النص الذي سوف يكون نموذجا على الإنتاج العلمي وأبعاده اللغوية فجاءت ترجمة النص باللغة العربية[58] كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على ابنته فاطمة رضي الله عنها وهيا (كذا) تبكي وعل (كذا) رضي الله عنه يسكتها فقال صلى الله عليه وسلم لما تبكين يا فاطمة فقال ت (كذا) فاكمة لمن شيء يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل يبكي أحد من غير شيء أو يحزن أحد من غير شيء ثم قال صلى الله عليه وسلم ما نش في الدنيا مثل فاطمة فقالت فاطمة رضي الله عنها وكيفا ألا يبكي وقد حرمت صلاة " الوداع من رمضان ثم قالت فاطمة رضي الله عنه (كذا) لو هللت وكبرت وسبحت أيكون لي ثوابها فقال صلى الله عليه وسلم لو هللت وكبرت وسبحت عمرك كله ما بلغ تلك الركعتين من ليلة الوداع فقالت لو تصدقت بوزن جبل أيكون لي ثوابها ؟ فقال صلى الله عليه وسلمم لو تصدقت بوزن جبل أحد ذهب (كذا) ما بلغ ثوابها فهل أفضل في المزان (كذا) من جبل أحد فقال عل (كذا) رضي الله عنه يا رسول الله كيف أصل (كذا) الركعتين فقال صلى الله عليه وسلم يا عل (كذا) طهر بيتك وثيابك وحضرر ما عندك من الطيب ثم قم إلى محرابك وقل سبحان الله عشر مرات ، وصل على جبريل ومكايل (كذا) واسرافيل وعل(كذا) حمالت (كذا) العرش وعلى (كذا) آدم وحو (كذا) وعلى جميع الأنبياء لكل واحد منهم عشر مرات وتقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عشر مرات وادخل في الصلاة إن شئت أول الليل (كذا) أو آخره وآخر أفضل من أوله وأقرأ الحمد لله وقل يا أيها الكافرون وإذا جاء نصر الله وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، كل واحدة سبع مرات في كل ركعة وتتشهد وتسلم وبعد السلام تسجد سجدة طويلة تقول في سجودك بسم الله الرحمن الرحيم : سجد لك

وجهي وخضعت لك رقبتي اللهم تقبل صومي وارحم ضعفي، اللهم لك صمت وبرزقك أفطرت وعليك السلام يا شهر رمضان ما كان بركتك كنت حصنا منع (كذا) وحرز (كذا) لمن تل (كذا) فيك القرآن وعبد فيك الرحمان فعليك السلام يا شهر رمضان ما كان أعظم بركتك وأكثر خيراتك فكم من صائم لا يصوم أبدا وكم من قائم لا يقوم فيك أبدا رضي الله عنك وعنا وعل (كذا) جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأكوان وحبيب (كذا) وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثرا (كذا) إلى يوم الدين... "

ما يلاحظ على هذا النص أنه ضم الكثير من الأخطاء الإملائية والصرفية التي سقطت سهوا من صاحبها، إذ نجدها تكتب صحيحة في بعض المواضع ثم خاطئة في مواضع أخرى مثال ذلك صل ، عل. كما نجد بعض الأخطاء التي تكررت في كل النص مثال ذلك اسم علي رضي الله عنه فكتب عل. وهذه قائمة بالأخطاء الإملائية والصرفية التي ظهرت في النص:

الخطأ	الصواب
صل	صلي
هيا	وهي
عل	علي
فقال تا	فقالت
لمن	لا من
عنه	عنها
وكيفا	وكيف
ألا بكي	ألا أبكي
ذهب	ذهبا

المزان	الميزان
أصل	أصلي
ومكايل	ومكاييل
عل حماله	على حملة
اليل	الليل
منع	منيعا
وحرز	وحرزا
تل	تلا
حبيب	حبيبه
كثرا	كثيرا

تترجم الأخطاء المسجلة في هذا النص على المستوى اللغوي للأغلبية الساحقة لمسلمي اسبانيا، وهذا ما أكده أحد المؤرخين الاسبان حين كتب يقول بهذا الصدد:**"...هؤلاء الكتاب الذين لا نعرف عنهم إلا القليل، كانوا يتمتعون بدرجة دنيا من المعرفة فرضتها عليهم الظروف التي كانوا يعيشونها..."** [59].

- **صفة التأكيد في لغة الألخميادو**: هذه بعض الحالات التي تعكس صيغ التأكيد العربية في الألخميادو المحاكاة:

El Pladoso de placiad— سلم تسليما

- **المحاكاة الأسلوبية في لغة الألخميادو**:

إن كل لغة هي نظام معقد من الرموز التي تشكل لغة على حدى لأنها لا تطابق أية لغة أخرى، بيد أن الألخميادية هي خرق للقواعد اللغوية، وهي محاولة تهدف للتماثل أكثر ما يمكن مع تراكيب النص الأصلية، ومع نص اللغة الأصلية محدثين بذلك محاكاة أسلوبية ذات معنى. كما تعتبر الرموز الخطية العربية في

الأدب الألخميادو نقطة تداخل فونولوجي للعربية والاسبانية معا؛ ذلك أن المؤلف يطابق فيها أساسيات لغته الجديدة مع أخرى تنتمي إلى لغته الأولى؛ ولكن هل معنى هذا أن المطابقة المذكورة تجعل المؤلف يخضع أساسيات اللغة الثانية (أي الاسبانية) إلى القواعد الفونولوجية للغة الأولى.

إن أغلب النصوص الأعجمية التي نملكها ترجع إلى فترات خضع فيها مسلمو اسبانيا إلى قوة النسق الفونولوجي الاسباني، واسبانيتهم قد تخلصت، ليس فقط من النسق الفونولوجي العربي الذي عرفوه في البداية لازدواجية لغتهم، بل ونجد أن عربيتهم تظهر منطوقة حسب النسق الفونولوجي الاسباني[60].

أمام هذه المعطيات يمكننا الخروج بنتيجة، هذه الأخيرة أكدت أن اللغة الألخميادية ضمت العديد من الافتراضات اللغوية، ومختلف أنواع المحاكاة والتوليدات، لكن علاوة عن معارضة هذه العناصر، فمن الضروري كذلك اعتبار أن وجودها يستدعي تعديلات على صعيد هيكلة النظام الدلالي بمفهومه الواسع .

4)- دراسة نقدية وفنية لنماذج من الكتابات الألخميادية:

اعتبر الإنتاج الفكري الذي خلفه مسلمو اسبانيا معتمدين على اللغة الألخميادية امتدادا لحركة الاستماتة التي انتهجوها للمحافظة على مقومات شخصيتهم الإسلامية، والتصدي لسياسة الإدماج المنتهجة من طرف السلطات الاسبانية السياسية والدينية، هذا ما يستنبط من خلال اعتمادهم على الخط العربي للكتابة بهدف الدلالة على البعد الحضاري والديني لهذا الإنتاج.

أ)_ البعد الديني في الانتاج الألخميادي:

ظهرت حركة التأليف باللغة الألخميادية كوسيلة للتدليل على حجم المعاناة، والكشف عن الاغتراب الثقافي والإحساس بالظلم المسلط من طرف الاسبان والكنيسة لهذا نجد أغلب الكتابات كانت دينية.

إذ من بين العناصر التي اكتسبت أهمية قصوى في هذا الانتاج نذكر على وجه الخصوص العنصر الديني الذي شكل العمود الفقري لهذه المخطوطات نظرا لطبيعة المادة الواردة فيه، وقد تجلى هذا البعد الديني في كل مستويات النصوص إثر تبويب مضامينها ومقارنتها باللغة العربية، لغة الإسلام، ذلك أن المواقف التي يتبناها الكاتب عند استعماله للقشتالية للتعبير على حقائق دينية أفرزتها اللغة العربية في أحسن صيغة تحدد نمط التراكيب والمصطلحات والهياكل البنوية للنص[61].

وحتى تتضح الصورة حول ما ذكر أعلاه نعرض بعض النماذج التي تم فك رموزها في مجموعة المخطوطات الألخميادية التي تناولت مواضع دينية، فقد شكلت هذه الأخيرة قسما مهما من هذا الإنتاج الذي كان الهدف الأساسي منه المحافظة على التعليم الديني للمجموعة المسلمة في وسط بيئة نصرانية متعصبة. وهذه بعض النماذج التي خلفها مسلمو اسبانيا في مؤلفاتهم[62]:

دار أشديـ دالش شياتا ذالنبانيسنكان ذا ذو الفيادفو ارناجنت دسانسرغسانك نبن ذا انردشمسليما شبانتارالش شياتا عليماشدكتشافصالدش ادا.

وتكون ترجمتها باللغة العربية كالتالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وآله وسلم تسليما"

نذكر في السياق نفسه الفقيه **"عيسى بن جابر"" Iça De Gebir"**[63]، هذا الأخير ألف مجموعة مهمة من الدراسات الدينية نذكر منها " **الكتاب الشقوبي" "El quiteb segoviario"** . وقد وردت تحت اسمه تعريفا به بحروف عربية: **"بربيزية سني" "Bereviaro Sunni"** أي **"مختصر في السنة"**، وهو مختصر صغير في الأخلاق والشريعة[64]. والاسم الكامل كما ورد في نسخته الألخميادية هو: **"إللكتب شجبين، بربيزى سني، ممريل ب أش برنشبلش مند مينتش إد بد مينتش د نو شترشنت مند مينتش إد بد مينتش د نو شترشنت لى إسن"**[65] وهو يفهم إذا نحن رسمنها بحروف لاتينية:

El quiteb segobiano. Brebioro sunni. Memorial de los principales" mandamientos y de bedamientos de nustra santa ley y sunna. »[66]

والكتاب يقع في فصول كثيرة عن الإيمان وما هو، وما ينبغي على المسلم الاعتقاد به ليصبح دينه، والوضوء والطهارة والماء الطاهر وغير الطاهر، والتيمم، والصلاة ومواقيتها، وهو يصف طريقة الصلاة ويذكر ما ينبغي أن يقوم به الإنسان المسلم في كل حركة من حركاته وهو يكتب المصطلحات بالعربية ويرسمها بحروف لاتينية محرفة ولكنها تحيطنا علما بالطريقة التي كان مسلمو اسبانيا ينطقون بها العربية مثال ذلك:

Allah wa aqbar - الله أكبر

çubhana rabbi- Ilahadim سبحان ربي العظيم

çemi allahu limen hamidehu سمع الله لمن حمده

Allahuma rabbana qual col hamdu اللهم ربنا ولك الحمد

ويستعمل صاحب المخطوط مصطلح العبادات الإسلامية باللغة القشتالية في صورة فعل مضيفا إليه في نهايته (AR)، فيقول مثلا: (الركعة) (Arraquear) أي الركوع؛ أيضا في السياق ذاته نجد الأمر نفسه يتكرر مع مصطلحات أخرى مثل (النوافل) (Anefiles)، جامعا نافلة جمعا قشتاليا[67]، وما إلى ذلك من مصطلحات دينية تخص ممارسة شعائر الدين الإسلامي. كما هناك كتاب آخر موسوم بـ **" التفسيره"** ينسب إلى مسلم من اسبانيا يدعى **"منتب أريقالو"**، حاول هذا الأخير عرض مجموعة من القضايا التي تخص العقيدة؛ ومما ورد فيه نذكر:

"إر أن ديا د لش شيت دل أتي بنيثنكوين د دلقعده، فويرن أختندش إن ثرجث أن كنبنى د أنردش مثلش أدند شأليرن مش د بينت مثلمش إإتتر إلبش شبيت ألميش دكتش إفد لدش إديبوش دل أدهر كمنثرن دش ش أرنج، إإنتر متشش كشش تفلت كين دش كم إرجرند نوشتر بردد إدكوت بك إتنشيا إر نوشتر أبرا، إديش أتر ألم كنش تربخس كتنيمش، لش كد كددى شنش أبرخبن، كتد شري برمش مرتنثيا، إربجنرن شدتش دثيندْ كلش تربخس نكنلين برننجن منشكب د لأبر برثتد إكفلتند لمدل برنثيال كإش الّليممينت بر لأثلاّ ك لأبر نيديّا"[68].

وتكون ترجمتها إلى اللغة العربية بهذا الشكل: **"في يوم من الأيام السبعة السنوية الخامس والعشرين من ذي القعدة، اجتمع في سرقسطة جمع من أشراف المسلمين حيث وجد أكثر من عشرين مسلم وكان بينهم سبعة علماء راسخون في العلم وفاضلون، وبعد الظهر أخذوا يعالجون آلاما وقال كل واحد منهم كلامه. ومن بين أشياء كثيرة تكلموا فيها لم يخل الأمر من واحد قال: كيف كانت خسارتنا كبيرة، وما أقل جدوى عملنا وقال عالم: إن كل الأعمال التي بين أيدينا والأعمال التي تشغلنا كل يوم، إن كل هذه ستكون عظيمة الأجر، فأنفوا من قوله قائلين الأشغال (اليومية) لا تأثير لها على العمل المفروض، وإنه إذا انعدم الشيء الأساسي وهو استجابة الداعي الصلاة لا يمكن أن يكون العمل مقبولا"**(69).

ب)_دراسة فنية لنموذج مصور على إنتاج ألخميادي:

تمسك مسلمو اسبانيا بمقومات شخصيتهم الإسلامية، ورفضوا الانسلاخ عنها رغم كل الضغوطات وعملية التنكيل والاضطهاد الذي عنوه على يد السلطات الإسبانية السياسية والدينية. وبذلك أعلنوها تحديا صارخا للحرب الصليبية التي حاولت النيل من الإسلام باضطهاد تابعيه، فكان أن زاد ذلك من اصرارهم وتمسكهم به. فتركوا لنا تراثا يؤكد ذلك ويفند كل الادعاءات القائلة باختفاء الإسلام من اسبانيا بعد سقوط غرناطة.

لقد شكل هذا التراث الفكري الذي خلفته النخبة المثقفة المسلمة في اسبانيا مرجعا لكل المسلمين الذين فضلوا البقاء في الوطن الأم رغم التنكيل والإرهاب الممارس عليهم، لهذا نجدهم لم يهتموا بالجانب الفني والجمالي لهذا الإنتاج بقدر اهتمامهم بالمضمون الذي كان سببا قويا في الحفاظ على الشخصية

الإسلامية وسط بيئة متعصبة وعنصرية؛ ولنا وقفة مع بعض النماذج منها التي تؤكد ذلك.

النموذج الأول

من خلال هذه النموذج المصور من مخطوط ألخميادي يمكننا الخروج بمجموعة من الملاحظات لعل من أهمها:

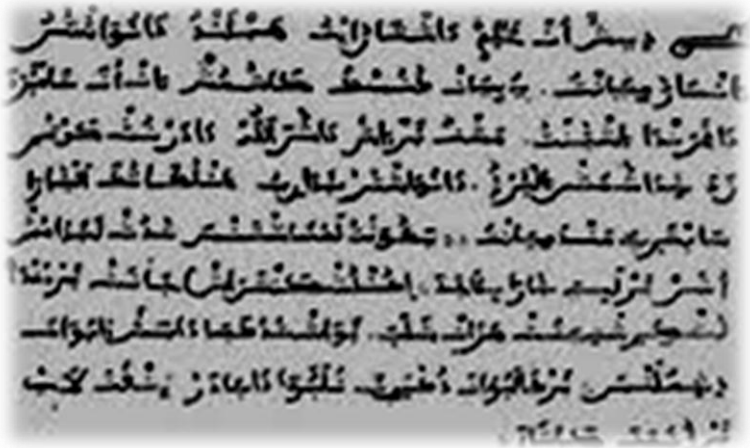

كتب هذا النص الذي عالج قضية دينية بخط مغربي[70].

_أما فيما يخص الجانب الشكلي، فنجده أقل ما نقول عنه أنه متواضع جدا، إذ لم يهتم أصحابها بالجانب الجمالي، هذا راجع لسبب وحيد وأكيد، هو ذلك القمع الحضاري والاقتصادي الذي سلطته قوى الغدر والدمار على هؤلاء المسلمين، فكيف لهم في

ظل ذلك الاضطهاد والتنكيل الذي مورس ضدهم أن يهتموا بالجانب الجمالي والشكلي لهذا الإنتاج.

النموذج الثاني

من خلال هذه الصورة لنموذج من المخطوطات الألخميادية يمكننا الخروج بمجموعة من الملاحظات لعل من أهمها:

_ عدم استعمال الألوان ما عدا اللون الأسود.

_غياب الزخرفة والأشكال الهندسية التي تضفي شكلا جماليا لأي مخطوط مهما كان موضوعه.

_عدم الالتزام باتجاه واحد في الخط.

كل هذه الملاحظات تؤكد على أن مسلمي اسبانيا عند كتابتهم لهذا الإنتاج الفكري والديني لم يكن أمامهم سوى هدف واحد هو تبليغ ما أمكن تبليغه لإخوانهم المضطهدين من تعاليم الشريعة الإسلامية هذا من جهة، والمحافظة على ما تبقى من

دعـائم وركـائز الديـن الإسلامي في اسبانيا النصرانية من جهة أخرى.

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات لعل من أهمها:

_يمثل الإنتاج الفكري والأدبي الذي كتبه مسلمو اسبانيا بواسطة هذه اللغة المبتكرة من أكثر الأدلة وضوحا على هذا البعد السامي في إسبانيا، والذي بدأ يضمحل ولكنه ما زال رغم ذلك مؤثرا وفاعلا، يسمح لنا هذا الأدب السري، الذي ما زال معظمه غير منشور، والذي كتبه مسلمون دفعوا دفعا لأن يعملوا تحت الأرض، بأن نلمح عملية الانقراض البطيئة كما عاشها آخر المسلمين في إسبانيا في القرنين السادس والسابع عشر ميلاديين.

- إن هذا الإنتاج الفريد من نوعه إن صح التعبير هو معلم وأثر باق على ذلك الجهد المثير الذي حاول من خلاله مسلمو اسبانيا إنقاذ المعرفة بالدين الإسلامي وثقافته - أو ما تبقى من هـذه المعرفة التي تقلصت بحكم متابعات واضطهاد رجال الدين والسياسة في إسبانيا وتحولت إلى معتزلات سرية للمسلمين المضطهدين.

- كان مسلمو اسبانيا من خلال تأليفهم لهذا الإنتاج واعين كل الوعي لما كانوا يحاولون إنجازه، فقد كانت مهمتهم المستحيلة هي محاولة إحباط إيقاف التاريخ وانتهاكه مـن طرف اسبانيا النصرانية بكل هيئاتها.

_ تعتبر القرارات والمراسيم التي أصدرها الملكان الكاثوليكيان فرناندو وإيزابيلا ومن بعدهم الملوك الاسبان تحت وصاية الكنيسة الكاثوليكية بمنع استعمال اللغة العربية كلغة للحديث أو للكتابة، بمثابة عملية استئصال هؤلاء الأندلسيين من هويتهم الإسلامية، وكوسيلة فعالة لعملية التنصير. وكرد فعل طبيعي لهؤلاء المضطهدين، كان لا بد لهم من وسيلة للمحافظة على مقومات شخصيتهم الإسلامية والعربية فابتدعوا لغة يكتبون بها تراثهم الحضاري والديني، ويعملون من خلالها على تعويض ما فرض عليهم من منع استعمال اللغة العربية وامتلاك كتب لها صلة بالحضارة الإسلامية.

- لم يتوقف هذا الإنتاج عند التأليف فقط، بل تعدى ذلك إذ عمد الكثير من مسلمي اسبانيا الذين لهم ثقافة واسعة ودراية باللغة العربية إلى ترجمة المصادر العربية الإسلامية إلى اللغة الألخميادية بغية نشر الثقافة الإسلامية بين مسلمي اسبانيا. والترجمة في هذه الحالة هي امتداد لحركة الاستماتة التي انتهجها مسلمو اسبانيا للمحافظة على مقومات الشخصية الإسلامية، والتصدي لسياسة الإدماج، المنتهجة من طرف السلطات الاسبانية مدعمة برجال الكنيسة الكاثوليكية، وهذا ما يستنبط من اعتماد الخط العربي للكتابة بهدف الدلالة على البعد الحضاري والديني لهذا الإنتاج.

الهوامش:

1 **غرناطة:** معناها بالإسبانية "الرمانة" وهي شعارها التاريخي، الذي ما زال مائلا على باب قصبة الحمراء، في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة. كانت آخر القواعد الأندلسية التي سقطت في يد النصارى الإسبان. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، د ب ن: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط: 2، 1311هـ/1921م. ص: 160.

2 من الحقائق التاريخية المتعارف عليها أنّ سنة 896هـ/1492م كان تاريخ سقوط الأندلس في يد النصارى الإسبان، وبهذا التاريخ تبدأ مأساة المسلمين بضياعهم للفردوس بعد ثمانية قرون من العطاء الحضاري، مازالت بصماته واضحة في التاريخ الإنساني، لكن لابد من تصحيح بعض الأمور أو الوقوف عندها لنبين بأنّ هذا التاريخ يمثل سقوط آخر معقل من معاقل الأندلس –غرناطة-الإمارة وليس نهاية للدين الإسلامي الذي ظل معتنقوه يقاومون ويدافعون بشتى الطرق والوسائل من أجل الحفاظ على مقوماته وشرائعه، وذلك منذ أول يوم من تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكيين. هذا وبدأت غرناطة تعد أيامها، فتتالت المصائب والمحن على البلاد والعباد على يد أعداء الإسلام، إلى أن اضطر آخر ملوك غرناطة عبد الله الصغير تسليم المدينة إلى الملكين الذين توجا ملوكا على كل الأندلس الضائعة خاصة وأن زواجهما كان بمثابة الضربة القاضية لآخر معقل إسلامي بالأندلس، فبينما عرف العالم النصراني التكتل والوحدة نجد بالمقابل العالم الإسلامي يعيش حالة من الفوضى والتفكك والضياع. لاطلاع على تفاصيل أكثر حول موضوع سقوط غرناطة ينظر: المقري بن محمد أحمد شهاب الدين التلمساني، نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د ط، 1408هـ/1988م.

3 **ايزبيلا:** ولدت إيزابيلا سنة 856هـ/1451م، وتوفيت سنة 910هـ/1504م. ينظر:

Louis Cardaillac, L'Espagne des Rios catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apofée D'un règne, 1474_1497 Edition Aurement _ collection Memoires P: 23.

وهي ابنة الملك خوان الثاني ملك قشتالة، وحفيدة أنريكي الرابع. ينظر: الزويعي محمود محمود، محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ/1516م)، الأردن : دار زهران للنشر والتوزيع، د ط، د س ط. ص : 42.

4 **فرديناند**: ولد الملك عام 856هـ/1421م. وأصبح ملكا على صقلية سنة 1468م، ثم ملكا على آراغون سنة 1479م، ينظر:

Rodrigo De Zayas , Les moresques et le racisme d'état et la difference , Paris , 1992. P: 82.

ثم ملكا على قشتالة سنة 887هـ/1484م بعدها أصبح ملكا على نابلي عام 910هـ/1504م؛. ينظر: الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 1، 2000م. ص :123. توفي في 23 يناير من سنة 1516م، وأوصى حفيده شارل الخامس بحماية الكاثوليكية والكنيسة. ينظر: عبد الله محمد عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، (دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط : 4، 1987م. ص: 142.

5_ تعكس أدبيات الصراع ثراء واضحا فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع، كما تتعدد أيضا مجالات الاهتمام، ونقاط التركيز التي يوليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. فقد قدمت تعريفات كثيرة من طرف الباحثين في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، على أن كل مجال فسره وفق المنظومة الخاصة به. فالصراع في مفهومه يعبر عن موقف له سماته أو شروطه المحددة، فهو بداية يفترض تناقض المصالح أو القيم بين طرفين أو أكثر، وهو ثانيا يشترك إدراك أطراف الموقف ووعيها بهذا التناقض، ثم هو ثالثا يتطلب توافر أو تحقق الرغبة من جانب طرف (أو الأطراف) في تبنى موقف لا يتفق بالضرورة مع رغبات الطرف الآخر، أو (الأطراف الأخرى)، بل إن هذا الموقف قد يتصادم مع باقي هذه المواقف. ينظر: منير محمود بدوي،

مفهوم الصراع: دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع، مجلة دراسات مستقبلية، مصر: مركز دراسات المستقبل ـ جامعة أسيوط ـ ع:3، يوليو 1997م. ص: 38.

6_ **محاكم التحقيق** :أما اختيارنا لعبارة" محاكم التحقيق "بدلا عن التسمية التقليدية" محاكم التفتيش"، فالسبب يعود إلى أن أصل التسمية هو Inquisitio""، من كلمة "Inquiry" التي تعني :تحقيق واستفسار وبحث . إذن،" لجان التحقيق "هي أقرب للمعنى الحقيقي منها" لجان التفتيش "ذلك أن الهدف من هذه اللجان كان التحقيق مع النصارى المتهمين لاستبيان حقيقة موقفهم من الديانة النصرانية الكاثوليكية .لذلك ينبغي أن نوضح حقيقة تاريخية وهي أنه المقصود من خلال هذه العملية هم النصارى الخارجين عن العقيدة الصحيحة في منظور الكنيسة، أما المسلمون أو اليهود فلا سلطة لهذه اللجان عليهم لأنهم لا يدينون بالنصرانية .وقد اختلف استعمال تسمية هذه المحاكم من مرجع إلى آخر خاصة العربية منها التي قامت بترجمة التسمية من اللغة الإسبانية، فهناك من اختصر نعتها بمحاكم التفتيش، وهناك من أطلق عليها " ديوان التحقيق ."ينظر :محمد عبد الله عنان، المرجع السابق. ص :19.

7– اعتمد كل ملوك إسبانيا الذين تدالوا على العرش الإسباني سياسية واحدة اقتضت "تطهير" إسبانيا من أي عقيدة تكون مخالفة للعقيدة الكاثوليكية؛ فقد سعوا لتنصير مسلمي إسبانيا معتمدين في ذلك على عمل محاكم التحقيق، هذه الأخيرة سلطت كل أنواع التنكيل والبطش بغية تجسيد هذا المشروع وبالرغم من ذلك باءت كل محاولاتها بالفشل. للإطلاع على تفاصيل أكثر حول عمل محاكم التحقيق ينظر: الزويعي محمود، محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ/1516م)، الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع، د ط، د س ط.

8_أدركت السلطات الاسبانية خطورة مفعول اللغة في معتقد الفرد حيث لمسوا ذلك حتى في تعامل النصارى الجدد مع النصرانية الكاثوليكية، إذ راحوا يتدرجون إلى جوهره بواسطة اللغة العربية، الأمر الذي تسبب في معضلة التشكيك في النية، مما جعل الاطمئنان إلى صدق إيمانهم يظل مشوبا بالحذر الشديد ويضعهم دائما موضع الشبهات، الأمر الذي وقف عائقا في طريق الاكراه على تبني النصرانية الكاثوليكية. فبالنسبة لرجال

الكنيسة والساسة نستطيع أن نجزم بأنهم أدركوا ادراكا مبكرا جدلية ارتباط اللغة العربية بالإسلام كعقيدة وتشكلهما في ثنائية ذات علاقة تبادلية يصعب الفصل بينهما، إنه كما يلاحظ شعور طبيعي بالخوف من فعالية هذا المجهول خاصة إذا كان الأمر يتعلق بلغة عدو. ينظر:

-Boronat y BarrachinaPascual, Los moriscos Espagnoles y su expulsion, Valencia, 1901, P : 652.

لكل هذه الأسباب تواصلت جهود السلطات الاسبانية في تحريم استعمال اللغة العربية تخاطبا وقراءة وتأليفا، فتم إصدار المراسيم والقرارات التي تمنع استعمالها؛ إلا أن كل المحاولات الرامية إلى إبادتها أوقع الساسة الإسبان في مجابهة واقع معاش فرض عليهم في آخر المطاف الركون إلى مفعول اتفاقيات مرحلية.

9_ منعت السلطات الاسبانية استعمال اللغة العربية بهدف دمج مسلمي اسبانيا ضمن المجتمع النصراني. ينظر: طارق محمد خضر، علاقات الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة، بحث نشر ضمن أعمال السجل العلمي لندوة الموسومة بـــ: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، قس:2، (الموريسكيون، الكتابات، الاستشراقية، الجغرافية والرحالات)، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط:1، 1417هـ/1996م. ص : 32. فقد بادرت السلطات الاسبانية بزعامة الملكين الكاثوليكيين سنة 900هـ/1495م، إلى تحريم التخاطب باللغة العربية باعتبارها المانع الوحيد لإتباع الدين النصراني كما اقتنعت الكنيسة الكاثوليكية أن تداول اللغة العربية في اسبانيا يشكل خطرا كبيرا على النصرانية. ينظر:

-Boronat y BarrachinaPascual,Op. Cit. P : 652

المنهج نفسه سار عليه كل من خلف الملكين الكاثوليكيين؛ فهذا الإمبراطور كارلوس الخامس يشكل لجنة من ثلاثة عشر كنيسيا وعلمانيا، كلفوا بمتابعة ملف مسلمي اسبانيا؛ وبعد اطلاعه على نتائج أعمال اللجنة أصدر مرسوما سنة931هـ/1526م يقضي منع استعمال اللغة العربية كلاما وكتابة. ينظر: حايك سيمون، ثورة ابن أمية، أو ثورة الموريسكيين، د. د. ن، د ط، 1996. ص: 30.

10_ **الكنيسة**: ترجمة عربية لكلمة عبرية تعني الدعوى إلى الانعقاد. وهي المؤسسة التي تجمع الأتباع؛ وترد لفظة بأكثر من معنى، فهناك كنيسة بمعنى جماعة المؤمنين في منطقة جغرافية محددة. أمّا الكنيسة التي تعني مكان العبادة فتأتي من وجهة استعمال المكان، أي أن مكان اجتماع الكنيسة صار يسمى " كنيسة" لدلالة الكلمة الوظيفية. ينظر: بولوس وهبة، موسوعة الأديان، د د ن، د ط، د س ط. ص:417.

11_ **الكاثوليكية**: تعني هذه التسمية العام أو العالمي، كاثوليكوس أصل هذه الكلمة هو اللفظة اليونانية وسميت الكنيسة الكاثوليكية بذلك ؛ لأنها تدعي أنها أم الكنائس، ولأن أصحابها يزعمون أن مؤسسها هو بطرس ويعتبر الباباوات أنفسهم خلفاء له من بعده، وتمثل الكنيسة الكاثوليكية أكبر تجمع نصراني في العالم، ينتشر أتباعها في جميع بقاع الأرض ويرأسها البابا، وهو أسقف روما، ومقره مدينة الفاتيكان، يساعده في تصريف شؤونها ما يطلق عليه السفارات البابوية التي تصدر بيانات البابا الرسمية، وبعض الوظائف الوزارية مثل وزارة الخارجية، ومجمع الكرادلة الذي يقوم بانتخاب البابا عندما يخلو الكرسي الرسولي. ينظر: المرجع نفسه. ص: 213.

12__ لا يمكن لمصطلح" الموريسكيين " أن يعني في أي حال من الأحوال أن هؤلاء كانوا متنصرين لأن قسما كبيرا منهم ظل مسلما وعربيا حتى النهاية، لهذا عملت السلطات الإسبانية على تغريبهم من بلادهم في مطلع القرن الحادي عشر هجري الموافق للقرن السابع عشر ميلادي. ولا توجد لنا ضرورة نحن المؤرخين العرب لتفريق مسلمي الأندلس بعد تسليم غرناطة عن الأندلسيين قبلها فجميع هؤلاء أبناء شعب واحد وهو الشعب الأندلسي، ووفاء لذاكرة شهداء الأمة الأندلسية تفادينا استعمال هذا المصطلح؛ وبحثنا كثيرا لإيجاد بديلا عنه، وانتهى بنا هذا البحث في نهاية المطاف إلى استعمال عبارة "مسلمي اسبانيا".

13_ **الموريسكيون**: طرحت بعض الإشكاليات المرتبطة بمفهوم "الموريسكي" "Moresque" باللغة الفرنسية و"Moriscos" بالإسبانية، من حيث كونه شخصية ثقافية وتاريخية فقد عبرت عما يمكن أن نسميه بـ "الظاهرة المورسكية" التي وجدت في مرحلة من مراحل

تاريخ إسبانيا وعبرت على مجموعة بشرية عاشت تحت وطأة اضطهاد السلطات الإسبانية، فالمصطلح يفيد بذلك حسب حمولته في اللغة والوجدان الإسبانيين: "النصارى من أصل إسلامي"، و"النصارى الجدد" أو النصارى الصغار". كما يفيد كذلك معنى الإسبانيين، الذين رجعوا إلى نصرانيتهم بعدما تخلوا عن الإسلام قهرا ـ ظاهريا فقط ـ ولا يخفى ما في هذا المعنى الأخير من تهافت على الواقع التاريخي لإسبانيا، ومن تحامل على الإسلام والمسلمين في الوقت نفسه. للإطلاع على تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: مرثيدس غارثيا أرينال، محاكم التفتيش والموريسكيون، تر: خالد عباس، تق: جمال عبد الرحمان، د ب ن: المجلس الأعلى الثقافي، د ط، 2004م.

14_ بعدما تأكد مسلمو اسبانيا من تعنت السلطات الاسبانية وإصرارها على تنصيرهم بكل الوسائل والسبل رفعوا لواء الجهاد المسلح دفاعا على أنفسهم ومقومات شخصيتهم الاسلامية ومن بين أشهر المقاومات المسلحة التي خاضها مسلمو اسبانيا ضد قوى الظلم والطغيان حرب البشرات. للإطلاع على تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: ميغيل أنخيل بونيس إيبارا، حرب غرناطة كما رآها القشتاليون من خلال مخطوطة لم تنشر بعد، بحث نشر ضمن: مجموعة من المقالات ضمن كتاب موسوم بـ: دراسات أندلسية وموريسكية، تر وتق: جمال عبد الرحمن، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط:1، 2008م أيضا:

- Marmol Carvajal, Historia Rebellon y Castigo de los moriscos, Madrid : Del rieno de de Crenada, 1946.

15_ **التقية:** أصل هذه الكلمة من وقى، "ووقيت الشيئ، بمعنى صنعه وستره، واتقيت الشيئ وتقيته وأتقيته تقي وتقاء: حذرته" ينظر: ابن منظور بن مكوم أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، مج: 4، بيروت: دار الصادر، ط: 2، 1384هـ/1992م.، ص ص: 401، 402. والاسم التقوى والتقية بمعنى واحد. أما اصطلاحا فقد ورد مصطلح التقية في القرآن الكريم، كما نجد توظيف هذه المصطلح في العديد من الأحاديث النبوية. ومن بين الآيات التي أشار الله إلى التقية بصورة مباشرة نذكر قوله

عز وجل في محكم تنزيله: **{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}**.ينظر: سورة آل عمران، الآية رقم: 28. ولعل الظاهرة التي استقطبت معظم الباحثين عند دراستهم لمظاهر الحياة اليومية لمسلمي إسبانيا هي أسلوبهم في الحفاظ على دينهم بإظهار النصرانية وإبطان الإسلام، فكانت التقية الوسيلة الفعالة أمام أساليب التمزيق والتفريق التي اتبعتها السلطات الكنسية والرسمية في اسبانيا وهي تجربة فريدة من نوعها، إذا حاولنا قياسها بألوان الاضطهاد والعنصرية والتطهير العرقي الذي مارسته السلطات الإسبانية؛ ولا شك أن محنتهم هذه مازالت تؤرق الضمائر الحية التي حاولت تقديم حقائق الصراعات الدينية والاجتماعية، وأسبابها العميقة.

16_كانت اللاتينية، اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. وتأتي كلمة رومانس من الكلمة اللاتينية التي تشير إلى المتحدثين باللاتينية، وكان هؤلاء يتحدثون بإحدى طريقتين: إما اللاتينية الفصيحة وإما اللاتينية المحكية. فكانت الطبقات المتعلمة تتحدث باللاتينية الفصيحة، بينما يتحدث عامة الناس العامية، وتطورت اللغات الرومانسية عن اللاتينية المحكية المُستخدمة في بعض البلدان الأوروبية المهزومة التي أصبحت مقاطعات رومانية. واقتبست هذه اللغة اللاتينية المحكية كلمات وبعض قواعد النطق من لغات البلدان المهزومة.

17_ **اللغة الرومانسية:** هي مجموعة من لغات تطورت عن اللاتينية وتستعمل الآن في الأماكن التي كانت من قبل جزءا من الإمبراطورية الرومانية. وتشمل كل من اللغات الآتية: الفرنسية، الإيطالية، البرتغالية، والإسبانية. ومن بين اللغات الرومانسية الأخرى: القطالونية المستخدمة في شمال شرقي إسبانيا، والبروفانسية، المستخدمة في جنوب شرقي فرنسا.

18_ اجتهد رجال الكنيسة والساسة على صياغة النصوص القانونية التي كانت ستارا للأعمال البربرية التي كان الكتاب العربي عنوانا لها؛ فقد أقدمت السلطات الاسبانية على حرق الكتب الإسلامية في الساحة العامة دون وعي منها لقيمتها المعنوية أو الجمالية، وكذلك فعلت محاكم التحقيق بمقاطعة أراغون التي أقدمت على حرق آلاف من المصاحف ومختلف

الكتب الأخرى. ولقد تضاربت الروايات التاريخية حول العدد النهائي للإرث العلمي والديني والأدبي الذي أحرق، فهناك من ذهب إلى أن عددهم تراوح ما بين مليونين كتاب، فيما ذهب فريق آخر أن تعدادهم بلغ حوالي خمسة ملايين كتاب، فيما رفع الرقم فريق آخر إلى سبعة ملايين مؤلف. ينظر:

Don Francisco Javier Simomet, El cardénal Ximenex de Granadinos, Imprenta Cisneros, y Los manuscritos abàbigo de la lealtad à ocargo de J. G. Garrido, Grannada, 1885. pp: 6,8.

ومهما يكن الرقم الحقيقي الذي تم حرقه فإنه قضى على سنوات وسنوات من البحث والتأليف والإبداع في شتى المجالات، فقد اتصفت هذه العملية بالهمجية والبربرية، إذ وصفها أحد الشعراء قائلا:

وكل كتاب كان في أمر ديننـــا ففي النار ألقوه بهزء وحرقة
ولم يتركوا فيهـــا كتابا لمسلم ولا مصحفا يخلى به لقراءه

ينظر: المقري بن محمد أحمد شهاب الدين التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج: 1، الرباط: طبع هذا الكتاب تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومتي المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية، د ط، د س ط. ص: 109.

19_**الأندلس:** عبارة عن جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم ابارية، ثم سميت باطقة، وعرفت بعدها باشابانيا، ثم سميت بالأندلس. ينظر: محمد بن علي بن الشباط التوزري، وصف الأندلس (قطعة من كتاب صلة الصمط وسمة المرط)، در وتح: أحمد مختار العبادي، مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ط:1، 1971م. ص:100. وذكر آخر أن الأندلس هي جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم أبارية، وأول من نزل الأندلس وملكها وبنى بها المدن وغرس الأشجار بعد موقعة الطوفان قوم يقال لهم الأندلس ابن نفرش بن يافث بن نوح عليه السلام وعليهم سميت الأندلس. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، مخطوط رقم: 1528، الرباط: الخزانة الحسنية. ورقة رقم: 66.

20_ بن زكريا بن محمد بن غانم بن أحمد إبراهيم، العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مخطوط رقم: 1252، الجزائر، المكتبة الوطنية ـ الحامة ـ قسم المخطوطات. ورقة: 1.

21_ **أحمد بن قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم ابن الشيخ الحجري الأندلسي:** ولد حوالي 980هـ/1570م في قرية أحجر (UGIJAR إحدى قرى مملكة غرناطة، وإليها ينتسب. ولد وعاش في ظلمات محاكم التحقيق، غادر اسبانيا سنة (1007هـ/1598م) متجها إلى مراكش حيث عمل مترجما في بلاط أحمد المنصور الذهبي، رابع سلاطين الدولة السعدية، وكان سفيره إلى بعض البلدان الأوروبية. وأثناء عودته من البقاع المقدسة استقر في تونس فكانت له صلة بحاكمها الداي مراد. تعرف هناك على أحد مسلمي اسبانيا وهو الريس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي الشهير بالرباش من نولش من قرى غرناطة، الذي ألف كتابا باللغة الألخميادية عن الجهاد بالمدافع فترجمه له الشهاب إلى العربية. ينظر: عبد الله حجي، هجرة العلماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)، د ب ن: السلسلة الأندلسية، د ط، د س ط. ص: 77.

22_ التميمي عبد الجليل، الدراسات الموريسكية الأندلسية بين الواقع والمأمول، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، د ط، 1423هـ/2003م. ص: 19.

23_ ظهر الاهتمام بهذا الإنتاج الفكري في القرن التاسع عشر ميلادي؛ ومن بين الرواد الأوائل في هذا التخصص نذكر غايانغوس باسكوال (Gayangos Pascual) وسافيدرا إدواردو (Saavedra Eduardo)، وخوليان ريبيرا وآسين بالاثيوس الذين كان لهم الفضل في فك شيفرة تلك المخطوطات؛ أما في الوقت الحاضر فإن دراسة الأدب يلقى اهتماما أكبر من مختصِّين أمثال: ل. ب. هارفي (Harvey.P.L) ومرسيدس غارسيا إرينال (Arenal Garcia Mercedes) ومانويلا مانزاناريس دي سيري (deCirre Manzanares Manuela)، كونتزي وراينهولد (Kontzi Reinhold) وأوتمارهيجيي (Hegyi Ottmar) ولويس كارديلاك (Louis cardaillac) ونارفيز ماريا (Narvaez Maria) وأنطونيو فيسبرتينو (AntonioVaspertino)، ونخص بالذكر هنا ألفارو غالميز دي

فوينتس (GalmesdeFuentes Alvaro) الذي بدأ بتحقيق سلسلة من هذه المخطوطات.

24_**عبد الجليل التميمي:** باحث تونسي، اختص في الدراسات العثمانية والمورسكية؛ نظم عدة مؤتمرات وملتقيات حول الملف الموريكسي، كما أنجز عدة دراسات وبحوث حول الموضوع نفسه. أسس مركزا للدراسات العثمانية والموريسكية في تونس، هذا الأخير كان له الفضل في احياء الانتاج الفكري الألخميادي.

25_ سورة النحل، الآية رقم:103.

26_ ابن كثير أبو الفداء الحافظ الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، مج: 2، بيروت: منشورات محمد بن علي بيضون، د ط، 1421هـ/2000م. ص:608.

27- سورة فصلت، الآية رقم: 43 و 44.

28_ سورة فصلت، الآية رقم: 26.

29-سورة فصلت، الآية رقم: 44.

30-سورة فصلت، الآية رقم: 44.

31_- Louis Cardaillac, Morisques et Chrétiens**,** Paris : Librairie Klincksieck, 1977.. P:38 .

32_ **أراغون:** يقال عن أصول مملكة أراغون أن رعيتها كانوا قوطا، تراجعوا إلى جبال البيرينيه بعد الفتح الإسلامي للمنطقة؛ ثم اغتنموا فرصة اندلاع الاضطرابات في الثغور الأندلسية فحققوا تقدما لم يصبح مؤثرا إلا بعدما احتل الملك الأراغوني ألفونصو الأول الشهير بـ "المحارب" سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى عام 512هـ/1118م. أما أشهر ملوك المملكة نذكر خايمي الأول (1213- 1276م). ينظر: عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق. ص: 60.

33_ لم يكن رضوخ مسلمي إسبانيا لقرار الطرد موقفا استسلاميا، بل اعتبروه مرحليا فقط، الغرض منه الالتجاء إلى العثمانيين لاسترجاع ما ضاع منهم، وهذا ما سجله بعض الرهبان الذين قادوا عملية الطرد من بينهم الراهب **أزمار كاغدونو "Azmar Cardono"** الذي كتب حول الموضوع يقول: **"...خرج المورسكيون من عمليات الطرد؛ وهم يهددون**

الإسبان بأنهم سيرجعون بمساعدة الأتراك لإعادة الإسلام إلى إسبانيا..." وأضاف في تقريره بأنه ظل العديد منهم يحتفظ بمفاتيح بيوته على أمل الرجوع. ينظر: براتشينا دون باسكوال بورونا، الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم، ج: 1، تر: كنزة الغالي، د ب ن: مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط، ط: 1، 1433هـ/2012م. ص: 160.

34_ Louis Cardaillac, Op. Cit. P : 171.

35-George Ticknor, Historia de literatura espanola, Madrid: Impr de la Publicidad,1888,vol : 4.p : 420.

36_ هدفت الحرب الصليبية التي شنتها السلطات الاسبانية على الإسلام تكذيب ودحض كل ما ورد من نصوص في القرآن الكريم، في محاولة منها للتشكيك في صحته؛ ولتحقيق هذا المسعى شجعت عملية التأليف في كل ما كان من شأنه الاساءة إلى القرآن الكريم. ومن بين المؤلفات الأولى التي ظهرت بهذا الصدد نذكر كتاب **"دحض القرآن" Improbatio Alcorani"** للراهب الفلورانسي ريكولدو دي هونتركروثي. كما ظهر في إشبيلية عام 905هـ/1500م باللغة اللاتينية كتاب آخر بعنوان **"إدانة القرآن" Reprobacion del al Coran "**. ومن بين الكتابات التي ظهرت في السياق نفسه نذكر "القرآن" **coran"**من تأليف الراهب والمتعصب خوان أندريس مارتين، وقد ظهر في فالنسيا عام 924هـ/1519م. ودراسة أخرى موسومة بـ: **"في مواجهة القرآن" "Anti Al Coraan"** لصاحبه برناردو بيريث، الذي ظهر في اشبيلية عام 933هـ/1528م. نجد النوايا نفسها وبأدلة مشابهة في كتاب **"مواجهة ضد القرآن وضد النحلة المحمدية"** من تأليف لوبي اوبريغون، الذي تم طبعه في غرناطة عام 960هـ/1555م بإشراف محاكم التحقيق. ينظر: ميغيل دي سرفانتس، المرجع السابق. ص ص: 140، 141.

37_**اليهود** :من الهود جمع هائد وهو التائب، وهاد الرجل الذي رجع وتاب، وتهود هو ذاك الذي دخل في اليهودية، وهو بالتالي هائد والجمع هود، والهود اليهود من الهوادة وهو المودة أو اللين، وما يرجى به الصلاح أو التهود وهو التوبة والرجوع إلى الحق، ويذهب بعض الباحثين إلى أن اليهود سموا يهودا حينما تابوا عن عبادة العجل ثم لزمهم هذا الاسم لقوم

موسى عليه السلام .بينما ذهب آخرون إلى أن التسمية كانت لأنه كانوا يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة؛ هذا ويرجع بعض الباحثين نسبة اليهودي إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب عليه السلام أو إلى مملكة يهوذا بمقارنتها بمملكة إسرائيل، وقد شاعت هذه التسمية أثناء السبي البابلي (86 539-ق.م). ينظر :ابن الشحنة محب الدين أبي الوليد بن محمد، روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تح :مهني سيد محمد، بيروت : منشورات محمد علي بيضون، ط: 1417هـ/1997م، ص ص: 23_29 بتصرف.

38_ ارتكز عمل محاكم التحقيق في قشتالة على اليهود الذين تنصروا بفعل الإرهاب والاضطهاد بين عامي 1391 و 1416 م بعد اتهامهم بنشر الطاعون. ينظر :عادل سعيد البشتاوي، المرجع السابق. ص:218. وقد طرد الملكان الكاثوليكيان ايزابيلا وفرناندو اليهود من قشتالة عام 987هـ/1492م بغرض التخلص من القروض التي قدمها اليهود للإنفاق على حرب غرناطة، ومن أهم هؤلاء نذكر الممول الملكي ابراهام سنيور . ينظر :المرجع نفسه _ص.229:

40_أحمد سعيد الصاوي، كتابة العربية بالحروف اللاتينية (الأبعاد التربوية والسياسية)، الشبكة العنكبوتية: موقع مكتبة مشكاة الإسلامية، 11/22 /2013م، 15،35سا .ص 4.

41_كانت اللغة الألبانية في البلقان من أبرز اللغات التي تعتمد الحرف العربي للكتاب إلى أن جاء سامي فراشري(1850-1904) فدعا إلى كتابة الألبانية والتركية بحروف لاتينية، ونشر في سنة 1879م أول كتاب لتعليم اللغة الألبانية، وبعد خمسين عاما فرض أتاتورك الحروف اللاتينية على اللغة التركية؛ وبالتالي كانت منطقة البلقان نموذجا حيا لازدواجية اللغة إذ كانت تدون لغاتها بالأبجدية العربية، فهناك من الأدب الألباني ما كتب بالحروف العربية. منها ملحمة في 13 ألف بيت تحكي واقعة كربلاء، وأخرى في 56 ألف بيت مكتوبة كذلك بالحروف العربية، ويسجل التاريخ بكل الأسى أن آخر كتاب طبع باللغة الألبانية وحروف العربية قد صدر سنة 1970م، وتعج منطقة البلقان بآلاف المخطوطات التي تعاني الإهمال

والتجاهل والازدراء، لا لشيء إلا لأنها دونت بالأبجدية العربية. ينظر: المرجع نفسه. ص: 4.

42_ **قشتالة:** تقع بين ليون ونبارة؛ يحكمها زعيم محلي مقره برغش"Burgos"، وهذا الزعيم يخضع لملك ليون؛ حصلت قشتالة على استقلالها في منتصف القرن العاشر ميلادي على يد فران غنصالص "Fernan Gonzales" (359هـ/970م). ينظر: الحجي علي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، دمشق: دار القلم، د ط، د س ط. ص: 275.

43_ - الجيوسي سلمى الخضراء، الأدب الألخميائي (الأدب الإسباني المكتوب بحروف عربية)، WWW. Google. FR، 2013/02/12. ص:1.

44_المرجع نفسه. ص:1.

45_ **سرقسطة:** مدينة كبيرة في شمال شرقي الأندلس عن الضفة اليمنى من نهر ايرة (Ebra). ينظر: سالم عبد العزيز، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، بيروت، د ط، 1962م، ص:83.

46_ الجيوسي سلمى الخضراء، المرجع السابق. ص:1.

47_ للاطلاع على تفاصيل أكثر حول موضوع نفي المسلمين من اسبانيا ينظر: - إي براتشينا دون باسكوال بورونا ، الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم، ج: 1، تر: كنزة الغالي، د ب ن: مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط، ط: 1، 1433هـ/2012م.

48_ **النقحرة:** ما يعادلها النقل الحرفي. وهو مصطلح متكون من كلمتين _نقل_ و_حرف_، ويعني نسخ الحروف ورسمها بنظام كتابة آخر، أي ايقاع تقابل بين لغتين ومبادلة كل حرف بحرف؛ فهو إذن محاولة للتوسط بين المنطوق والمكتوب. ينظر: عبد المنعم المحجوب، ما قبل اللغة، بيروت: دار الكتب العلمية، د ط، 2012م. ص: 12.

49_عبد الهادي سعدون، ابتهالات الحاج. رحلة الموريسكي الأخير إلى مكة المكرمة، WWW.Google. Fr. بتاريخ: 2012/12/30م. 12,30سا. ص: 2.

50_ دي فوانتا سالفارو قلماس، ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخميادية الموريسكية، الأدب الألخميادو – الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي. بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المورسكية – الأندلسية حول : الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو سياسة محاكم التفتيش تجاه المورسكيين، تونس : مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ط: 1، 2009م. ص: 51.

51_ سورة الحجر، الآية رقم: 9.

52_ من نتائج التعايش السلمي والدائم بين معتنقي الأديان في الأندلس أن المناظرات كانت وافرة جدا بين المسلمين من جهة، والنصارى من جهة ثانية؛ وقد طالت هذه المناظرات المجال العقدي بشكل خاص. وظلت مساحة هذه المجادلات تتسع من قرن إلى قرن؛ مع ازدهار الحضارة الإسلامية ـ من جانب ـ وخوف الأقليات النصرانية على خصوصيتها؛ مع انتشار الإسلام من جانب آخر.

53_ فليب وولف، الأصول اللغوية لأوروبا الغربية، باريس، د د ن، د ط، 1970. ص: 76.

54_ المرجع نفسه. ص:77.

55_الفاروقلماس دي فوانتاس، المرجع السابق، ص: 51.

56_ المرجع نفسه. ص:51.

57_عبد الجليل التميمي، لغة المورسكيين وأوضاعهم من خلال نصوص وفرمانات، بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المورسكية – الأندلسية حول : الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو سياسة محاكم التفتيش تجاه الموريسكيين، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ط : 1 ، 2009م. ص ص : 51، 52.

58_الفاروقلماس دي فوانتاس، المرجع السابق. ص: 115.

59_- بوزينب الحسين، القيمة الحقيقية للرموز الخطية في الأدب الأعجمي، الأدب الألخميادووالمورسكي، الدين واللغة من خلال الكتابات

الأعجمية الموركسية، www.google. Fr.، بتاريخ: 10/22/ 2012م، بتوقيت: 17,55سا.

60_ هلايلي حنيفي، الحرف العربي: تعبير مقدس في المخطوطات الألخميادية والموريسكية، الجزائر: المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع:1، جوان 2003م.. ص: 67.

61_ - برنابي لوي و مارتيناز جوزي ، وضع لغة المخطوطات المورسكية المكتوبة بالحروف اللاتينية : " المشكل الديني ". بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات المورسكية – الأندلسية حول: تطبيق المورسكين للشعائر الإسلامية (1492، 1609)، إشراف : التميمي عبد الجليل، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية، 1989م. ص: 26.

62_ أنجيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، د ط، 1955م. ص: 511.

63_ **عيسى بن جابر**: كنيته أبو الحسن. كان مفتيا وفقيها بجامع سيغوبيا. يعتبر من أهم العلماء الذين كتبوا في الفقه والعقيدة خلال القرن السادس عشر ميلادي. ينظر: حتامله محمد عبده، التنصير القصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين، عمان، د ط، 1986م. ص: 115.

64– أنجيل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق. ص: 511.

65_ المرجع نفسه. ص: 513.

66- المرجع نفسه، ص: 513.

67_ المرجع نفسه، ص: 513.

68_ المرجع نفسه. ص: 513.

69_المرجع نفسه. ص: 513.

70_ دخل الخط المغربي إلى الأندلس عن طريق النقود والتجارة والحج والاتصالات بين المشرق والمغرب. ينظر: محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس، بيروت: دار الثقافة، د.ط، د. س ط. ص: 213.